العدل الاجتماعي في الاسلام

تأليف

السيد عبد الرزاق كمونه الحسيني

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠



العدل الاجتماعي

في الاسلام

الطبعة الأولى
١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

العدل الاجتماعي
في الإسلام

تأليف :

السيد عبد الرزاق كمونه الحسيني

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الإسلام دين الانسانية

لأنه الرسالة الخالدة التي جاءت إلى البشر كافة ، وهي شريعة عالمية جاء بهـــا رسول الله ﷺ من الله تعالى إلى كافة البشر ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم .

فالانسان: هو أكرم الكائنات على الله تعالى،خلقه في أحسن تقويم ، وتولاه بالالهام والتعليم ، وحلاّه بالعقل السليم فامتاز عن سائر الموجودات وصار أشرفها ، ولذا كان الانسان حاصلاً على القدرة في استخدام ما في الوجود وتسخير المادة وقوى الطبيعة، فأمده الله بما يناسب مطامحه من حول وقوة ووطـّأ له أطراف الكائنات وذللها له،حيث قال تعالى : « وسخّر له ما في الأرض جميعاً »،فاختار لفظ بني آدم على ألفاظ الانسان والبشر والناس ليذكرهم انهم جميعاً أولاد شخص واحـــد وهو المشار اليها في الكتاب العزيز : « ولقد كرمنا بني آدم » . فأثبت التكريم الالهي لنوع الانسان لأنهم أولاد شخص واحد ، فبحكم العقل إمتاز الشرف الانساني والمجتمع البشري عن سائر الحيوان بمختلف

أنواعه ، وهذه غرائز مركبة في الانسان وتلطيفها ، وهذا هو معنى الاخوة الانسانية التي تصل البشر إلى السلم العام ، وتمنع من وقوع النزاع والخصام وتستدعي المحبة والالفة، لأن الاسلام دين يصل الانسان بربه وشرع ينظم علاقات الناس بعضهم ببعض وسياسة يحدد صلات المسلمين لغيرهم من الامم ، وأخلاق ترفع الانسان إلى أسمى غاية من مراحل الكمال الممكن فالدين الاسلامي شرع لخير البشرية ولخير الشعوب دائماً نحو مستقبلهم وهو علم وعمل وعدل وسعادة مزدوجة ، والدين يقود البشرية إلى حياة حرة واخاء بين الطبقات ويدعو إلى الحق ضد الباطل ، وإلى الخير ضد الشر ، فالاسلام سلم داخلي ، وسلم خارجي ، سلم مع الله تعالى وسلم مع جميع المخلوقات البشرية .

قال رسول الله ﷺ : المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، وفي حديث آخر : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، رواه عبد الله بن عمر قاله الحسين بن مبارك الزبيدي [1] ، فالاسلام سلم يتأتى من الخضوع لله تعالى والتسليم لأمره ، وقد أشارت إلى ذلك الصديقة فاطمة الزهراء في خطبتها في مسجد رسول الله ﷺ قولها والعدل تنسيقاً للقلوب .

وعندما بلغت الانسانية رشدها واستحقت ديناً عاماً خالداً اقتضى عدل خالق الشعوب أن ينتخب رسوله الخاتم للأنبياء(ص)

---

(١) التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح ١ : ٩ .

من الشعب العربي ، وأيده بالقرآن المعجز العربي الخـــالد الذي يساير الاسلام في البقاء بنفسه ،فبلغت بها أوج العزة وذروة المجد والسيادة ، وحازت المثل الأعلى في البــلاد حتى صارت الراية الاسلامية بأيدي العرب تدوخ الأقطار وتحف بها الهيبة ويحدوها الجلال وسارت معها الدعوة الاسلامية التي شعارها « لا إكراه في الدين » وان في الدعوة العربية الاسلامية ديناً ومبدءاً وإيماناً وقوة ،ولذا كانوا لا يهابون الموت وكان في العرب والمسلمين رجالاً يسخرون بالموت في سبيل المجد والحق ، وان عظمته الروحية العربية والاسلامية تستقي إيمانها وقوتها وثباتهـــا من منهل دينها الحنيف ومن مآثر ماضيها المجيـــد ، ولذا كانت عظمتها الروحية لا تغلب لأنها كانت كامنة في نفوسهم .

وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ قال: (إذا ذلت العرب ذل الاسلام) فالشعب العربي الكريم ممتاز من عناصر البشر بقوة الارادة وصدق العزيمة وثبات المبدأ واحتقار غد العيش والاعتناء بتنفيذ ما أراد ، والاهتمام بكسب الشرف وانه جدير بالسعادة والسيادة .

الاسلام دين الفطرة

لأن الدين عند الله الاسلام ، والاعتقاد بأن كل شرع من شرائع الله تعالى حق وصدق في وقت نزوله ، فالاسلام مكمل لما سبقه من الأديان السماوية ونظامه عام للمجموع البشري ، وقد أسس بنيانه على المساواة واحترام الحقوق ، ولذا كلف به جميع البشر على اختلاف قومياتهم إلى الأبد ، قال ﷺ : الناس سواسية كأسنان المشط على السواء خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً والنار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً .

فدين الاسلام دين المساواة بين البشر والاجتماع والاخاء وهو مبدأ حقوق الانسان لقوله تعالى: « إنما المؤمنون اخوة » إذ المسلم أخو المسلم في كل زمان ومكان له ما له وعليه ما عليه ، وقد أمر رسول الله ﷺ الامة على أسس العدل الاجتماعي من المساواة والحرية والائتلاف ، وصفاء النفس عن كدر الشوائب واتصالها بمحامد الخصال والمكارم وأمهات الفضائل وعدم الاعتداء على أحد في ماله وحقوقه وعرضه ونفسه ، فالاسلام

قرّر أحكاماً عادلة وآداباً فاضلة في جميع نواحيه من الاقتصادي والاسري والقضائي والخلقي والعمراني والثقافي والسياسي وأقام سلطان العقل وأعلى حرية النظر والفكر ، وقرّر التكافل على تحقيق الخير العام واستمرار الارتقاء في درجات العلم والعمل ، وعلم جميع العقلاء ما للعدالة الاسلامية من انه دين عام خالد ، وهـــذا هو تقرير مبدأ المساواة بين طبقات المسلمين في مختلف أجناسهم وبهذا يكون السبب الوحيد لايجاد الأمن العام في جميع العالم الاسلامي وتحصل الاخوة الشاملة بين أجناس البشر ، لأن الاسلام أسست اصوله على حكم العقل السليم ، كما قررت فروعه مطابقة لمقتضيات الفطرة والطبيعة سيما بعد اقترانها بالقرآن المعجز الخالد الذي يساير الاسلام بنفسه ، فالدين من الشؤون العامة العالمية وذلك في مبادئه الانسانية السامية العليـــا وفي قواعده الحكيمة الرفيعة العامة وفي أهدافه الاصلاحية ، وليس الدين الاسلامي عقيدة فردية بل هو دين عملي مثالي لاستجماعه عناصر الخلود لاحتوائه على السعادتين الدنيوية والاخروية لأنه مزج بين الروح والمادة واستخلص منهما مزيجاً ربانياً يجمع بين السعادتين إذ جعل الأعمال بالنيات ،وهذا تقرير للاجتماع وللعاطفة الدينية المعبر عنها في لسان الدين بالفطرة .

الاسلام دين الاخوّة

لأنه يدعو إلى جمع الكلمة والاتحاد والاخوة ، فالاتحاد نظام الامة الاسلامية وعمودها ، وبه تحصل الالفة وتحل المودة محل الجفاء وتجمع الكلمة ، قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، وقال تعالى: « محمد رسول الله والذين معه »، إلى قوله عز وجل : « رحماء بينهم » ، وقال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وقال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

وقال ﷺ : مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الأعضـــاء بالسهر والحمى، وقال ﷺ : لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم ، وقال ﷺ : ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يـــد على من سواهم فمن أحقر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل

وقال ﷺ : النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، فصلاح الامة الاسلامية بانضمام أفرادها وشدة ارتباط بعضهم لبعض وحدة حقيقية تعيش بروح واحدة وترمي إلى هدف واحد وتكون بمثابة الجسد الواحد ، فيسعى كل فرد منه لخدمة المجتمع فتكون امة صحيحة صالحة قوية لها مجدها وكيانها وعزها وشأنها ، فحينئذٍ لا يتسرب اليه الفساد من أي مغرض أو طامع ، فبالاتحاد تحصل الالفة وتحل المودة والرّحمة ويوجد التفاهم وتسهل الدعوة إلى تعاليم الدين،ولقد كان المسلمون في صدر الاسلام يَدعون إلى الوحدة والوئام ويحثوا إلى التقارب والسلام ، وأمروا بحسن المعـــاملة وحرروا الناس من قيود الأحقاد كما أمرهم نبيهم (ص) ، فألفوا بين قبائل العرب بعد أن كان بأسهم بينهم شديد ، وبذلك التأليف أصبحوا يداً واحدة ورأياً واحداً في قبال الكفرة والمردة واستطاعوا أن يسيطروا على العالم حتى أسسوا مملكة إسلامية عظيمة في أكثر أرجاء العالم البشري .

وكان السلف الصالح في مبدأ الاسلام هم قادة الامة ورُسل الاصلاح والنهضة لسبل الخير حتى أوضحوا سبلها جمعاء وعملوا في إحياء الإسلام وإظهار مبادئه ،فظهر للعالم البشري ان الاسلام دين جامع للسعادة المزدوجة في النشأتين ونظام يقود البشرية نحو السعادة الكاملة ، ويضمن حقوق المجتمع والفرد فهو صالح نحو

التطبيق من العقيدة والدولة والسياسة، ولذا شق الاسلام طريقه في كل بلاد من أنحاء العالم إلى أسمى ما تصبو اليه النفس مرفوعة الرأس موفورة الكرامة وقد تقبلوه بقبول حسن وعرفوا ان الدين والشعب والوطن لله تعالى، وأصبح النشأ الجديد على مبادىء خاطئة في التفكير كالتحيز والتعصب العنصري، فيسمون إلى التفرقة وأسباب ذلك الجهل وحبّ الدنيا وان التفرقة تكشف عن فقدان البصيرة، وبهـا يتسرب الفساد من أي مغرض أو طامع، قال تعالى: «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»، وقال تعالى: «تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون»، وقال تعالى: «ولا تنازعوا فتفشلوا ويذهب ريحكم» الآية، وهـذه الآيات ظاهرة في منع تفرقة الامة شيعاً لأن لا يتسرب اليها الفساد فإذا تم ذلك لا تبقى ثغرة إلى الذين قصدوا التهويش والتفريق بين صفوف المسلمين والطعن فيهم.

المدنية الفاضلة في الاسلام

فالدين الإسلامي يدعو الانسان إلى الأخلاق الكريمة والمحافظة بمكارمها ومحاسن الأعمال وإلى المدنيــة الفاضلة من الآداب والعلم والعمل والعدل، وهذا هو قانون التمدن المؤدي صاحبه إلى الخير الكامل ويدبره العقل المجرد من شواهب الأوهام، وجعل الإسلام طلب العلم فريضة حتى قال (ص) : خذ الحكمة ولو من أي وعاء خرجت، وقال (ص) : اطلبوا العلم ولو بالصين فالعلم كال للنفس المجردة ذاتاً وصفة بداعية لها ، وقال تعالى : « فلولا نفر من كل طائفــة فليتفقهوا في الدين وليرجعوا إلى قومم لينذروهم لعلهم يحذرون » ، فالانذار هو إرشاد النشوء ونشر للتعاليم الاسلامية على الفطرة وجعل التدين آلة فعــالة في تهذيب النفس وتثبيت العقيدة فيها بأساليب رائعة وترسيخها في أذهان الناشئة بصورة صحيحة ثابتة ، حتى يحتفظ بعقيدته ويدافع عن الاسلام ويدعو اليه، فالاسلام يدعو إلى التربية الصحيحة وإلى الحضارة الانسانية ولا يحصل التقدم إلى الحضارة الصحيحة إلا بتغيير أفكار الناس

بالتثقيف الصحيح بالمنطق والبرهان، وهذه هي الوسيلة التي تعمل بها التربيــة للتأثير في المجتمع الانساني بعملية فكرية ونفسية ، فتأخذ بيد المجتمع إلى التقدم والازدهـــار على أساس صحيح لمتطلبات الجماعة كالمؤسسات الاجتماعية والاعتقادات الدينيـة الذي يدخل فيه النظام الاقتصادي والصحي والنظام السياسي ، ويمكن الاستفادة منهـا في تثقيف الجماهير المتأخرة وتزويدهم بمبادىء ثقافية أخلاقية وتبصيرهم إلى الوجه النافع ودفع الضارّ وحثّ المجتمع على التخلص من الخرافات والتقـــاليد الضارة ومقاومتها ، وقـد أصبح النشأ الجديد على مبادىء خاطئة في التفكير كالتحيز والتعصب العنصري ، وهذا مما يستدعي القضاء على الأخلاق والتقدم في سبيل الرقي الانساني وتقف هذه الامور عثرة في المجتمع الخلقي الانساني لأنه يثير المنـــازعات ويورث التعصب فتحصل البغضاء والتفرقة، بل المقصود من النشأ الجديد بث الثقـــافة الأدبية والتاريخية والدينية ، ومقاومة الأوهام والخرافات الضارة .

وقد أمر الاسلام بالتفكر بالعقل السليم لطلب الدين القويم ، ونهى عن التقليد المذموم ، قال تعالى : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون » الآية ، ونهى عن الاقبال والانصراف نحو لذات الدنيا والطلب إلى شهواتها ، وعن ارتكاب رذائل الأخلاق

والكذب والظلم وشرب الخمور والقمار وغيرها لأنها من المدنيات الساقطة، فالاسلام نهى عنها وعن المدنية الضالةوالجاهلة والفاسقة والمقصود من طلب العلم من المهد إلى اللحد، طلب المعرفة بالامور الدينية ودراسه الكتب السماوية وما يمتُّ بها من العلوم ليؤهل صاحبها لجودة الفهم والادراك لطلب الحقائق، ويرشد الناس إلى الدين القويم ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

العدل الاسلامي

العدل الإسلامي : هو قانون كافل لمعالجة الفقر وما يتبعه من الجهل ، وقد قرر الاسلام أنظمة عامة للمجموع البشري أسسها على قاعدة المساواة واحترام الحقوق ، واعتبر المرأة مستقلة في نظر القانون الديني وأعطاهـــا حق حيازة الملك وحق الارث وجعلها مسؤولة عما تدخل فيه من الالتزامات ، فالمفاهيم القائمة على العدالة الاجتماعية هو تحقيق الكفاية لجميع البشر لأن الاسلام يأمر بالاحسان إلى جميع الناس وطريقها زيادة الدخل وتنظيم الثروة ومنع الاستغلال ورفع مستوى المعيشي للفرد ، ولنـا من شريعتنا الاسلامية الغرّاء ما يكتسب نظام الامة ،ونحن في غنى عن أي مبدء مستورد من غير الشريعة الأحمـــدية ، فالآداب الاسلامية للصيانة الاجتماعية ، والعدل الاجتماعي لقمع الاستعباد وهـــذا هو العدل الاسلامي الثابت بموجب قواعده في حقوق الانسان لأن مبادئه إيصال أسباب المحبة والاخاء بين البشر ، وقد جدّ العالم الشرقي والغربي بتفريق صفوف المسلمين ، لأنهم يخشون اتحاد الاسلام والتآخي بين أنصاره ، لأن الاسلام دين يأمر بالاحسان إلى جميع الناس ويحكم بالعدل إلى جميع البشر ، حيث قال تعالى : « إن الله يأمركم بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهاكم عن الفحشاء والمنكر والبغي » .

النظام الاقتصادي في الاسلام

الاقتصاد هو علم المنفعة . يحتم على الفرد أن يفكر في منفعة نفسه دون ضرر غيره ، وهو مكافحة كل من يميل إلى الاسراف والتبذير وتشجيع جميع أنظمة التوفير ، ومعنى الاقتصاد هو بذل جهود الانسان المخصصة لقضاء حاجاته الطبيعية والاجتماعية والمبذولة في إنتاج الأرزاق وتداولها وتوزيعها واستغلالها، وجعل الاسلام برنامجاً خاصاً للقضاء على المحتكرين وهم رؤساء الأموال بتحريمه الربا ، بقوله تعالى : « أحلّ الله البيع وحرم الربا » ، وتشديده في هذا التحريم بقوله: « فأذنوا بحرب من الله ورسوله» والربا هو تعاطي جزء كبير من المال أو ما يقابله لقاء قرض أو معاملة كمية تناسب معامله أو المبلغ المقروض والمدة لذلك القرض وقد حرمته المسيحية أيضاً ، وقـــال أرسطاطاليس إن النقود عـاقرة لا يمكن أن تلد ، ففرض زيادة على القرض أمر مخالف للطبيعة ، وبقي اليهود وهي الامة الوحيدة باستعمال الربا وكان استئثار اليهود بالسلطة المالية، وهذا هو العامل لقيام حكومات

اشتراكية في العالم تحرم الرأسمالية وجمع الثروة في أيدي فئة خاصة، فأصبح النظام الاقتصادي الاسلامي معجزة كافية لمعالجة الفقر والجهل، وبها يتجلى المثل الأعلى للعدل الاسلامي الاجتماعي والاقتصادي ، ودعى الاسلام للاجتماع الاقتصادي أحكاماً عادلة وآداباً فاضلة وحقوقاً متكافئة متبادلة كتشريع الزكوة والخمس وسائر الحقوق الشرعية التي تستهدف إزالة الفقر والحاجة عن المجتمع الاسلامي ، والحث على القرض الحسنة والاحسان وقضاء الحاجات والمهادات وغيرها، فأمّن بذلك معيشة الفقراء رفاههم وتحريمه الربا والميسر ووضع عقوبات للاعتداء على الأموال وعلى الأنفس والأعراض وغيرها من الأحكام القضائية ، والنظم الأساسية ومنع كنز الأموال وادخارها، قال الله تعالى : «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » ، وقال تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ومراده التضامن الحقيقي مع جميع أفراد الامة ، فالاقتصاد يحث على منع كل من يميل إلى الاسراف والتبذير وتشجيع جميع أنظمة التوفير ، وللاقتصاد قوانين عامة فلا تقبل التغيير في العصور والأحوال ، والاقتصاد يبحث عن خواص الفرد من المجتمع ومنافعه .

وقال الاقتصاديون : الحاجة هي العنصر الأصلي في الفعالية الاقتصادية والباعث إلى الرقي الاجتماعي، وقد يجتمع علم الاقتصاد مع علم الاجتماع لأن علم الاقتصاد يبحث عن خواص الفرد من المجتمع ، وعلم الاجتماع يبحث عن آراء الانسان وأعماله في جميع

أدوار التكوين الاجتماعي باعتباره كعضو في مجتمع بشري تربطه لسائر الأعضاء رابطة الانسانية ، فيخضع لنظمهم والاقتصاد داخل في ضمنه ، وقد أوجب الاسلام العمل المثمر في الحياة حتى قال الحسن بن علي عليهما السلام : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، فالانسان بذاته كائن اجتماعي بالطبع ، وقــد كانت النزعة الاجتماعية موجودة فيه وسائرة على ناموس الارتقاء فاندفع بدافع طبيعي نحو استعمال عقله الفطري الذي يميزه عن سائر أنواع الحيوانات ، فوسع بذلك من نطاق إدراكه إلى شيء مما يدركه خياله الساذج إلى مظاهر النواحي الاجتماعية بغريزة حب السعادة ، فلهذا استعمل عقله الفطري الغريزي إلى ظواهر الموجودات ليقوم بالعمل اللازم لتقويم حياته وتدبير وسائل معاشه وتنظيم شؤونه ، فالانسان بحــدّ ذاته ضعيف شديد الهلع تستفزه الخطوات وتستطيره الهواجس ، قال الله تعالى : « وخلق الانسان ضعيفاً » ، وهــذا الوصف من الضعف للانسان هو منشأ لكرامته ومنبع لسعادته حيث ان الضعف يولد الحاجة ، والحاجة تولد في نفسه الرغبة في إدراك ما تصبو اليه وترتاح فيستعمل مواهبه وقواه وغرائزه وأفكاره في الاختراع والاكتشاف ، فهو يحرص دائماً على درء ما يؤلمه وجلب ما يلذه ، وهذه الرغبة تستدعي بذل جهوده في سبيل الوصول إلى ما يضمن وفاء حاجته من الأشياء ، واليه قال تعالى: « ليس الانسان إلا ما سعى » فالميل الفطري إلى الانسان هو طلب الراحة والسكون .

المبادىء الاسلامية
والأحكام العادلة في الاسلام

امتاز الاسلام عن سائر الأديان السماوية على وضع أحكام عادلة ووضع إيثار الاجتماع على العزلة ، وجعل النفقة في وجوه الخير والبر والصالح العـــام عبادة ، وقرّر سائر أعمال البشر وأوجب حب الخير الذي أراده الله في الكون عبادة،قال تعالى: « وانه لحب الخير لشديد » فأمر بطلب العلوم والتفقه في الدين وتعلم الصنائع ، قال تعالى: « فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعـــلهم يحذرون » وأوجب التربية البيتية ، فقال تعالى : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » وقرّر دروساً اجتماعية منها قوله تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وقرر توزيع الأعمال على البشر ، فالاسلام من مبادئه إيصال أسباب المحبة والاخاء بين البشر وهذا هو العدل الاسلامي الثابت بموجب قواعده فيحقوق الانسان ، لأن الاسلام دين اجتماعي نظم حياة الانسان من مبدأ

تكوينه إلى حين وفاته وهيأ له عيشة راضية عملاً بقوله: «واتبع فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» ، وقد وضع للانسانية قوانين للحياة على أسس العدل والمساواة والعمل المثمر بها للسير إلى طريق الهدى والصلاح ، فالاسلام دين ممتزج بين الروح والمادة على سبيل العدل والخير للمجموع البشري ،وهو بيان كل شيء من شؤون الجماعات وحل كل معقـد من مشاكل الحياة ، وقد تكفل لجميع البشر من الحقوق على المساوات التامة بلا فوارق بين الطبقات ،فالدين الاسلامي قرر الاشتراكية العادلة بتقريره اشتراك الجميع في مرافق الحياة ، وذلك قول الله تعالى: « ولكم ما في الأرض جميعاً » ، وهو اختصاص كل إنسان بنتائج قواه وأعماله ، فجعل الله تعالى للفقراء والمساكين المعوزين حقاً معلوماً ونصيباً مفروضاً على الأغنياء في أرباح أموالهم بنسب محدودة باسم الزكاة والخمس ونحوهما وهذه هي الاشتراكية العادلة.

فالعدل الاسلامي أكبر قانون كافل لمعالجة الفقر وما يتبعه من الجهل والمرض ، وهـذا الأصل صالح لكل الأزمنة ولكل الامم والبيئات ،وهذا هو دين الاعتدال من دون إفراط وتفريط فيه وهو الوسط بين تحقق طرفيه ،وإنما المبادىء المخالفة للشريعة الاسلامية كلها مبادىء ليست كافلة للبشر من الشرور فهي تفسد الأخلاق وتزيل الغيرة والحياء ولا يدوم معها شرف النفس ، لأن شرف النفس صفة يمتنع صاحبها من ارتكاب أي قبيح أمـــام الناس كما أن خسة النفس توجب عدم المبالاة بارتكاب القبيح .

الأخلاق في الاسلام

أما الفلسفة الخلقية فإنها توصف بمكارم الأخلاق للتخلق بها ، ومعرفة رذائلها للاجتناب عنها، ومعرفة علاج الأمراض النفسية والخلقية والطرق التي بهـــا تحافظ على صحة النفس ومكارم الأخلاق ، وفائدتها سهولة صدور أفعال جميلة محمودة من الانسان بارادته بسبب تخلقه بفضائل الحكمة والعفة والشجاعة التي درأت اعتدال القوى الثلاثة ريطلق على مجموعها اسم العدالة ، فالعدالة الفردية والعدالة الاجتماعية رأس مكارم الأخلاق ، وهي المنظمة للحياه النفسية الانسانية والحيـــاة الاجتماعية ، إذ الأخلاق هي الوسيلة الأولى ثم يتبعها سائر الوسائل كما تتبع النتائج مقدماتها ، وكما يتبع الظل الشاخص لانها عبـــارة عن التعديل والتسوية والمساواة العادلة المقتضية لاعتبار الوحدة والاتحاد فيما تجري فيه العدالة، فالإسلام دين فطري اجتماعي أخلاقي والعقائد الإسلامية هيمقتضيات الفطرة السليمة وهي تصور مكارم الأخلاق الملائم لكرامة الانسانية والبراهين عليها عقلية وحسية فخلق كل أمة

هي علة تطورها في حياتها وهو يقرر مستقبلها فمتى كان الخلق الصحيح كان سائداً بين أفرادها بلغت الامــة أسمى ذرى المجد والسؤدد ، قال (ص) : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وقال (ص) : « الخلق وعاء الدين » ، فمتى كان الخلق سائداً بين أفراد الامة تأكدت المحبة بين الناس وأحلتهم محل الصفاء ، وأكبر مــا يتصور من النعيم وسارت بهم أسرع ما يكون إلى طريق الارتقاء فيكونوا كالجسم الواحد إذا تألم منه عضو تألم له سائر الأعضاء فيحسن الصفاء ويذهب الجفاء ويذيب الغلي والبغضاء ، لأن الأخلاق عمود البراهين كلها ، فإن إدراك التخلق بالفضائل مرتبط ارتباطاً وثيقاً بادراك السعادة ، والخلق في علم الاجتماع شبيه بالعنصر الثابت لكل نوع من أنواع الكائنات فخلق كل أمة هي علة تطورها في حياتها وهو يقرر مستقبلها ، وبالتعاليم الأخلاقية نادى الأنبياء والحكماء والفلاسفة والمصلحون والمهيمنون على تربية النشىء وتعليمه في مختلف العصور ، لأنها روح الدين والايمان ووسيلة اتحاد الامة وقوة النهضة السياسية ومحور الحركة الوطنية والسد المنيع دون تأثير المبادىء الهدامة في المجتمع ، وان من دواعي الأخلاق جلب المحبة لأنها توضع المحبة في القلوب وتغرسها وهي أعظم أركان الروابط الاجتماعية ومنبع السعادة في الحياة ، وهي أنجع وسيلة لاقتلاع الشرور من النفوس وإبادة أنواع الفتن من العالم الانساني وجلب المحبة ، ولذا اعتبرها الشارع أساس الخير وجعلها شرطاً للايمان .

قال النبي (ص) : والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم قالوا بلى يا رسول الله ، قال (ص) «افشوا السلام بينكم» فالأخلاق جماع الفضائل ، ومن دواعيها جلب المحبة وهي حبل الله تعالى الذي أمر الناس الاعتصام به ،لأن المحبة من أهم الروابط الاجتماعية ، فالأخلاق الكريمة شرّعهـــا الدين الاسلامي وهي تختلف في ظروف الحياة وتتطور في أخلاق كما ورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال : (لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) ، فالاسلام نظم علاقة الانسان بالخالق ومزج بين مصالح الدين والدنيا وهذّب الأخلاق وصان الحقوق .

الاسلام والسياسة

فالسياسة فلسفة تبحث في العلاقة بين الحكومة والأفراد من الشعب وبين الحكومات حيال بعضها ، فالدين الاسلامي عندما يكون دين الدولة يكون قائماً لمصلحة الفرد والمجتمع على حد سواء ، لأنه دين المدنية الكاملة ودين المدنية الفاضلة المؤدي إلى الخير الكامل ويدبره العقل المجرد عن شوائب الأسقام والأوهام باستخدامه القوى النفسية الخاضعة لسلطانه،فهو دين ينظم الامم ويدعو المتدينين به من مختلف الأجناس والعناصر إخواناً متساوين في الحقوق والتكاليف، لأنه يبحث عن فلسفة الحقوق التي تبحث في الأنظمة والقوانين التي يجب على الانسان اتباعها والسير بمقتضاها ،ويدعو إلى فلسفة التربية التي هي تبحث عن أساليب التربية ومواردها ، وأشد المناهج وأسدها في تعليم الأحداث وابتكار الطرق والأنظمة التي تعبد بها سبل التهذيب والتعليم لبلوغ الكمال في نواحي الشؤون الاجتماعية ، وإن أهم

التعاليم الدينية للحكومات الاسلامية وضع قانون الشورى ، قال تعالى : « وشاورهم في الأمر » ، وقال تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ، فالنبي (ص) ما كان في حاجة إلى مشورة أحد من الناس، ولكن أراد الله تعالى بتوجيه هذا الخطاب اليه (ص) أن يكون أسوة للمسلمين كافة فلا تجري أمورهم إلا على أساس المشورة في الأمر لا في ولي الأمر ، مع أن النبي (ص) ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وإنما أمر الله تعالى رسوله الأعظم (ص) بالمشورة تأليفاً لقلوب قومه وللمستشار شروط أن يكون استجماعها جديراً بالمشورة وقبول رأيه كما حدث في أحد إذ قال تعالى : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين » ، فالرسول (ص) غير محتاج إلى مشورة أصحابه وإنما وضعت مشورتهم للتأليف بين قلوبهم ، كما جعل الله للمؤلفة نصيباً من الصدقات وقوله « كانوا ينفضون من حوله لو كان فظاً » هذا دليل على نقصانهم ،وقوله تعالى « فأعف عنهم واستغفر لهم » دليل على أنهم فعلوا مـا لا يرضى الله ولا رسوله منهم فأمر بذلك عند تألفهم ، فالنبي (ص) إنما كان يستشيرهم في تدبير ما يعملون ليعلمهم كيف يعملون في أمورهم وفي وجوه تصرفاتهم من حرب إلى سلم ونحو ذلك ، وحينما لم

تتوفر تلك الشروط في المستشار لا يقبل لهم رأي كما حدث في الحديبية ، ولم يقبل رسول الله (ص) مشورتهم حتى قال (ص) بالغضب(أنا رسول الله) ، فمن كان الله مدبره ومختاره في جميع تصرفاته كان مستغنياً عن مشاورة رعيته وتدبيرهم معه ، كيف وقد جعله الله حجة على عباده .

الاسلام والاستعمار

إن الدين الإسلامي لا يأتلف مع الاستعمار في مكان أو زمان لأن مبادئه تأبى ذلك وتطلب الحرية الكاملة ، وجاء الاستعمار متباكياً بدموع الكذب على من يسميهم بالأقليات زاعماً حمايتها لتثبيت أقدامه فوق مخانق الجميع ، فإنما هو أثر سيء وطابع كريه لتفريق شمل المسلمين ، فأحدث فكرة العدوان وكريه العصبيات حتى انفسح المجال له ولأعداء الاسلام والعروبة فوجدوا ثغرة لقلب الحقائق الاسلامية والتلفيق فيها وتفريقها من غير صورتها حتى جدّوا في زوال الامبراطورية الاسلامية بالانحلال بدسائسهم الاستعمارية، ففرّقوا الامة الاسلامية إلى شعوب وامم فأنستهم أمانيها وواجباتها وأخلاقها فرجعت القهقرى من حيث تظن التقدم ، وترسب في حضيض الرذيلة من حيث تبغى السوء فاستحوذت عليهم الفوارق حتى بثوا المستعمرين مهابط الوساوس ومخازن الدسائس إلى أبناء الشعوب لكي يستحيلونهم إلى زنادقة ملحدين يخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يعقلون ، وقد بث

المستعمرون دسائسهم بقوى إرهابية ، وأتوا بوسائل التضليل ليحدثوا في الأوهام ، وليتسلطوا على عقول الناس فيأثر فيهم الجحود بعد الجمود ، حتى بث المستعمرون دسائسهم في المدارس ومداركهم في أبناء الشعوب لتكون علومهم ناراً تحرق عواطفهم وعقائدهم فيخسرون الدنيا والآخرة ، ومـــا أبقى الاستعمار وسيلة إلا تشبث به لتحقيق مطامعها تأميناً لسيطرتهم المؤبدة على هذه المناطق الغنية ليحصل لهم السلام العام في هذه البلاد ، وليحدثوا في قلب الممالك والدول العربيـة تعكير صفاء الأمن والاستقرار في هذه الممالك لفرض الاصطياد في الماء العكر حتى حاول الاستعمار أن يدس فكرة الفرقة بين رجـــال السياسة ويمسهم بأنشودة وطنية ويستعمر الأفكار باسم التحرر والتطور حتى تصبح الأجيال المتفقة ركيزة الاستعمار بوحي منه فالجبهة الاستعمارية ترى ضرورة فصل الدين عن الدولة والسياسة إذا كان الدين الاسلام، لأن فصله عن الدولة طريق إلى انحلال عراه وانطماس معالمه إذا كانت شعوبه في اسارة الاحتلال الأجنبي ، فقد اتخذها جمع من البسطاء المسلمين معتقدين بأنها من التعاليم الدينية الاسلامية من أن الدين لله والوطن للجميع بتنقيص الدين والقول بأنه يدعو إلى الجمود ويخالف الحياة في جميع نواحيها فسارع الناس اليهم بين جاهل وطامع، فالعرب والمسلمون بالرغم على ما عانوه من تقلب الظروف ومن عنت المستعمرين وخصوم الدين وتفريق القوة المعنوية وتجزئة الشعوب المرتبط بها ، فقـد

سَعَت الامة العربية لوحدتهـــا وهو حجر أساس إلى الوحدة الاسلامية ليعود للامة الكمال الحضاري والرشد الاداري والثقافة الممتازة ، لأن العلم والدين متأصل في الأجيال والزمان مع أن الاسلام في آخر رمق من حيــاته ، ويرى الغرب والمستعمرين وحدة العرب والمسلمين خطراً على كيانهم وأغراضهم الاستعمارية فيسعون بكل الوسائل لتفكيك صفوفهم ويضعون العراقيل في سبيل التفاهم والاتحاد فيما بينهم ، وطالما سعى الاستعمار هــذه الفكرة لايجاد التفرقة وبث الفرقة بين صفوفها فأصحرت عن سوء نياتها ولم يبق أي أمل في عدلها وإنصافها .

الاسلام والصهيونية

فلما وجد المستعمرون وحدة المسلمين والعرب خطراً على كيانهم ، فقد سعوا بكل الوسائل لتفريق صفوفهم ووضعوا العراقيل في اتحادهم فحاولوا أن يدسوا فكرة الفرقة وانقلاب الامبراطورية الاسلامية لتحقيق مطامعها والسيطرة على بلاد الاسلام وتنظيم عصابة لهم في بلاد العرب ليتغلغلوا في البلاد تأميناً لسيطرتهم ، فسعوا في ترسيخ جرثومة الفساد الصهيوني في أرض العرب والمسلمين فاختاروا أرض فلسطين مقراً لهم بإنشاء وطن قومي صهيوني لليهود باسم دولة إسرائيلية ، وكان جل غرض المستعمرين التسلط على المنابع العظيمة والثروة الطائلة في الشرق والقضاء على الاسلام في بلاد فلسطين وأرض العرب ، فروّجوا فيها النعرة الشعوبية والفكرة القومية لاسرائيل والوطنية لليهود في بلاد الاسلام ، فاليهود بذلوا جهدهم في جمع المال والثروة زمناً طويلاً للإستيلاء على رؤوس الأموال والتجارة وهم الامة الوحيدة باستعمال الربا واستأثارهم بالسلطة المالية ،

وكان قصدهم السيطرة على الاقتصاد العام ليتسلطوا على الشعوب من هذا الطريق ، ليتسنى لهم الحصول على وطن صالح لهم حتى بذلوا من المال خمسون مليون ليرة ذهبية إلى السلطان عبد الحميد العثماني ليسمح لهم بإنشاء وطن صالح لهم تأبى قبول المال ، ولما قامت الممالك الكافرة على الحكومة العثمانية المسلمة في حربهم العظمى ، قام اليهود بإعانتهم فبذلوا الأموال الطائلة وأوعدهم بلفور وزير خارجية بريطانيا بأنه بعـــد استيلائهم على ممالك المسلمين أن يجعل لليهود وطناً صالحاً مستقراً في بلاد العرب وبعد أن تغلب الغرب على بلاد الاسلام أقطعوهم أرض فلسطين ، فقام اليهود ينتقلون اليها من أرجاء العالم وأنشأوا بها دولة صهيونية إسرائيلية وبذلوا لهم أسلحة حربية لمقاومة العرب ورحل العرب من فلسطين مليون نسمة أو يزيد عليهـــا ، وحل اليهود محلهم ولكنهم أخطئوا الحقيقة حيث أن الله تعالى قـدّر لهم الذلة والمسكنة ، قال الله تعالى : « وضربت عليهم الذلة و المسكنة » الآية ، وكان هـذا الوعد من الله تعالى لليهود بإرادته القاهرة وإيجابه التكويني فلا ينالون تحقيق أمانيهم ، وبالمستقبل القريب ستحقق إرادة الله تعالى من الغلبة للمسلمين حتى يمحي ذكرهم عن عالم الوجود حيث قال تعالى : « لأغلبن أنا ورسلي » فالله صادق تعالى بوعده ولا يخلفه .

الاسلام يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فالأمر بالمعروف هو تثبيت العقيـدة ودفع الشبهات وتمتين الإسلام في نفوس أبنائه وتبليـغ رسالة الرسول ﷺ من كرم أخلاق وطيب أعراق ودماثة طباع وكل ما يمثل الفضيلة وروح الايمان والاسلام والانسانية ودفع الشبهات التي يلقيها الأعداء على الإسلام وإرشاد النشىء وتثبيت العقيدة فيـه ومكافحة الإلحاد والفوضى الأخلاقية وتمتين الإسلام في نفوس أبنائه على أساس العقيدة النبيلة ومضاعفة الجهود لعرض حقائق الإسلام وصحائفه الناصعة في أسرار التشريـع ولوامع التاريخ ، ونشره في أسلوب بديع بتوضيح ملائم لكي يستطاع أن يرسخ في أذهان النشىء في مدة وجيزة ويعالج بها الأمراض الاجتماعية والدينيـة على وجه التشريح المنطقي البرهاني والحسن الانساني بصورة بديعة وبسرعة فائقة لتنظيم العمل الاجتماعي والوحدة الروحية ، ورفع كيان المسلمين إلى المستوى الأعلى في حياتهم الاجتماعية وتوحيد كلمتهم

والحيلولة بينه وبين الافتتان بما يملك خصوم الإسلام من القوى المادية والمدنية الباهرة ، وجمع كلمة المسلمين للحصول على روح الاتحاد في العمل لحفظ العقائد الإسلامية ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم التعاليم الاسلامية الموجبة لبقاء الاسلام خالداً إلى الأبد ، قالت الصديقة فاطمة الزهراء في خطبتها في مسجد أبيها (والأمر بالمعروف مصلحة العامة) لأنه وسيلة للخير لقوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون ». فوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوباً كفائياً على جميع المسلمين يسقط بعد قيام من فيهم الكفاية ، فوجوبهما ليس حكماً عاماً ولا مطلقاً لأنهما لا يجبان إلا على ما كان مستجمعاً للشروط الشرعية المقررة في الاسلام والمؤدية إلى الخير المطلوب للشارع ، ولهذا أوجبهما الله تعالى في الآية الشريفة على أمة من المسلمين وذلك حينما يكونان وسيلة للخير وهذا هو الواجب الأهم الذي كنا به خير أمة أخرجت للناس ، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروط بشرائط منها معرفة المعروف شرعاً ومعرفة المنكر ، ومنها الأمن من الضرر على الآمر والناهي أو غيرهما من المسلمين بما لا يتحمل عـادة وغيرهما من امور استقصاها الفقه الاسلامي وهي شروط يصير

بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة للخير الذي أراده الله تعالى ، وانه لحب الخير لشديد ، وبما أن الأوامر والنواهي الشرعية قادرة على نهج القضايا الحقيقية فتتعلق على الموضوعات النفس الآمرية،وذكر في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فإن الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين يديكم إلا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي والحكماء لترك المناهي ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تزال الامة بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وإن لم يفعلوا نزعت عنهم البركات وسلط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء .

فيا عجباً من رعاة الدين ودعاة الحق رفع الله قدرهم وشرح في هذا السبيل صدرهم ما حركت الشمال النخل الدقيق وأحد الفرقدين للآخر رفيق كيف تريهم يتعرضون لمسائل سفسطائية لم يبتل بها أحد على مرّ الدهور ويتركوا أمراً هاماً وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوارد في السنة ومتواتر الأخبار الذي لا يدع كبيرة ولا صغيرة من الفرائض إلا أحياها ولا من الفحشاء والمنكر إلا أمحاها وهدّمها،الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم العارفون في موارده ومناهجه وهم علماء الدين وأقمار العلم وشموس أعلام الفضيلة وحملة مشعل التوحيد وأنصار الحق وأعلام النهضة ومبلغي رسالة الاخوة والوحدة،وهم دعامة عرش الدين واللسان الناطق عن الشرع المبين والمرجع الأعلى

للمسلمين ، بمؤازرتهم تتقدم الأعمال وتتقوّم الآمال وتشاد صروح الايمان ومجد الأوطان بجهودهم الجبارة وجهادهم المتواصل في سبيل إعلاء كلمة الدين ، لأن الاصلاح الديني لا يتوقع حدوثه إلا من الذين لهم الاحاطة بأسرار التشريع الاسلامي العظيم ، وهذا الاصلاح المنشود إنما يجب أن يكون وليد الحقيقة والوضع القائم وصنيع المؤثرات الاجتماعية والفكرية ومقتضيات الأحوال والنزعات بتعاليم الاسلام، وهذا الواجب لا يقوم به إلا الراسخون في العلم وهم الذين لهم المعرفة الشاملة القائمة على مقررات العقل السليم والبحث العلمي والتفكير الحر ، وهم يعرفون الواجب الملقى على عاتقهم لأنهم يعلمون أن العلماء ورثة الأنبيـاء ، وهل وظيفة الأنبياء غير الارشاد وإنقاذ البشرية من الضلال والسير بها إلى طريق الهدى والصلاح فلتكن الدعوة إلى الدين في دعة وإقناع بالحجة الساطعة وبالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» وقال (ص): (الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله تعالى أنفعهم لعياله) ، وعلى المصلحين الاحتراز عن الخطأ كيلا يترتب عليهم آثار سيئة عظيمة لعلو مقامهم ومركزهم ، قال أمير المؤمنين (ع) : (فإياكم والتلون في دين الله فإن جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون) ، فلو قام العلماء بواجبهم الديني لتوحدت المقاصد واجتمعت الكلمة واتسعت الأفكار وزكت النفوس ونجحت الأعمال وتحققت الآمال ، لأن العلماء ينصحون

بنصح الله ويتكلمون بلسان رسوله، وفي الحديث (الدين نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ، وهذا الحديث يقضي على العلماء أن يتدخلوا في كل شأن من شؤون العقائد وأن يدفعوا كل فرية يفتريها الخصوم على أهل التوحيد وأن ينصحوا في كل وقت وحين ويفيدون الامـة الاسلامية في دينها ودنياها بعلم صحيح وإرشاد مفيد وإصلاح متين، قال ﷺ : إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين، وقال تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بينـاه للناس في الكتاب أُولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا أو بينوا فاولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » ، وقال تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلا اولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم »، وروي أن الصادق (ع) كتب إلى الشيعة ليعطفن ذوو السن منكم والنهي على ذوي الجهـــل وطلاب الرياسة أو ليصيبنكم لعنتي أجمعين .

علماء الإسلام في الماضي والحاضر

فقد سلف من علمائنا الأعاظم بثهم الدعوة إلى إحقاق الحق وإزهاق الباطل ونشر معالم الاسلام بنهج صحيح بعد جمع كلمة المسلمين والتآخي بينهم واستبسلوا في الكفاح عن الدين الاسلامي أيما استبسال ، واستطاعوا بفضل إخلاصهم وصبرهم ومثابرتهم وبذل جهودهم الجبارة وعلومهم الحجة وتوكلهم على الله تعالى أن يحدثوا ثغرة في الصفوف المتراصة حيالهم فاقتحموها على مناوئيهم ، فأظهروا الدعوة إلى الدين الحنيف في شرق الأرض ومغربها فأصبحوا وللدين الصحيح أنصار متجاهرون في أكثر الأقطار وفي أغلب الامم فبثوا الرسالة الاسلامية الكبرى ومقصدها الأسمى للإصلاح البشري بأقسامه الديني والعلمي والثقافي والاجتماعي والأخلاقي فنالوا عزهم واستعادوا مجدهم ، فالانسانية خففت آلامها وتحققت آمالها ونالت المثل العليا في الشرف والتهذيب والكرامة ، وقد أوضح الله بسعي العلماء سبل الرشاد وإقماع الفساد لا للمسلمين فحسب ، بل لجميع العالم

البشري حتى وقفوا على ذروة المراقبة والنظر فيما يضمن للامة الحياة الصالحة والعمل على ما يداوي عللها ويسد خلتها لأن الدين الاسلامي هو الجامع بين السعادتين الدنيوية والاخروية ، ويقود البشرية جمعاء نحو السعادة الكاملة لأنـه يضمن حقوق المجتمع والفرد ، وإن تقوية الشعور الديني إنما يكون بإعزاز مركز الدين أمام البحث العلمي والتفكير الحر وتيارات التقدم العقلي وإعطائه الحق الكامل في البحث النزيه التماساً للمعرفة والإقتناع بالطرق الصحيحة والتصدي لحسمه على أساس حب الحقيقـة والحرص عليها بما يوافق المحسوس المشاهد .

العلماء في الزمن الحاضر :

لقد بذل الإستعمار وأهل الإلحاد أقصى جهودهم للنيل من كرامة المسلمين وتفريق صفوفهم واستهدف أن يجني على الدين الإسلامي في المراكز الإسلامية باثارة النعرات المذهبية والعصبيات الطـائفية الذميمة التي تقطع على المسلمين التعاون والتفرقة بين صفوف المسلمين باسم الدين على أيدي الجهال بالحقائق وبأخطار العواقب ، فاستغلوا أبالسة الإلحاد هـذه الثغور المفتحة أمامهم فنفذوا منها ودخلوا على المسلمين باسم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، فرموهم بمختلف الشظايا ونالوا مقصدهم بعد إنقاص وحدتهم ، قال تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا إن الله شديد العقاب » ، فاصيب من جراء ذلك المسلمون في الآونة الأخيرة التخاذل والتدابر وأصبح شعارهم

الشكوى والتلاوم وضعف فيما بينهم أداء واجبهم الديني حتى انتهى إلى حالة في الآونة الأخيرة كثيراً من مقوماتهم الدينية والأخلاقية والاجتماعية حتى ساد سلطان الفساد، وكان ذلك من دسائس المستعمرين في تفريق صفوف المسلمين فيلزم من الامة المسلمة وعلمائها تلافيها على أيد موحدة ومنظمة عامة في جميع المراكز الإسلامية لنشر حقائق الإسلام وأن يكونوا سداً منيعاً عن موجة الإلحاد وتسربها إلى بعض العقول الطائشة وأن يضعوا المخطط للدفاع عن هذا التيار الجارف ويقودوا النشىء الجديد في طريق موفق ليكون له أعظم الأثر في تثبيت العقائد الدينية ضد مهاجميها من الأعداء الخارجين والداخلين، وقد اشتكى أكثر المسلمون من تسرب الفساد في العالم الإسلامي، وما كان ذلك إلا لعدم قيامهم بوظائفهم لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون »، ولماذا لم يتأسوا بنبي الرحمة في إمضاء عزيمته وقوة جنانه ومتانة نفسه وإقدامه وحرصه على إحقاق الحق وإبطال الباطل ولو كره المشركون، فالعالم اليوم محتاج إلى مصلح أمين يرشده الطريق المستقيم ويذوده عن الجهل والغواية ويجتث منها اصول الشر ويعيد فيها اصول الخير ويدعو إلى دين الله بالبراهين والجادلة بالتي هي أحسن .

الدين الإسلامي والشرائع الملحدة

فالمشرع الحكيم عالم بمصالح الأفراد جميعاً فوضع لهم قانون كافل لجميع البشر وشامل إلى المساوات البشرية والعقوبات القـــانونية ولا يتأتى تنفيذه إلا في حق البشر إلا عن طريق الاعتقاد بالدين وهو الاعتقاد بالله وبنبوة النبي (ص) وصحة ما جاء به والاعتقاد بالمعاد وبما فيه من العقاب والجزاء ، فيكون الترغيب إلى فعل الأوامر وخوف العقاب من مخالفته فحينئذ تكون للانسان حياة سليمة تكفل بها إصلاحه لأنه يعتقد إن العمل بالقانون لا يكون إلا بداعي التكليف وإن له جزاء عادل فالقانون المتكفل لاصلاح البشرية هو تطبيق الكتاب المنزل على رسوله (ص) والسنة النبوية ، وإن العمل بهما ينهض بقلع الفساد والشر عن المجتمع الانساني، فالانسان مهما بلغ في الرقي في الفكر والعلم يكون محدوداً في تصوره وفكره لأنه محدوداً في وجوده فكيف يتسنى له أن يضع قانوناً صحيحاً يكفل للبشر قلع الفساد والظلم ورفع الفقر وإصلاح البشرية ، وقام رجال في العـــالم

البشري يسمون أنفسهم بالمصلحين فإنهم يحـــاولون الاصلاح للأوطان وراء أغراضهم الشخصية للاستفادة منها .

ومن المبادىء الملحدة المبدء الشيوعي بجميع مظاهره مبدء تحويل الشعوب إلى مجرد آلات بتجريدها جميع الصفات الانسانية التي رعتها الديانات والأخلاق والعقول تحت ثوب الاحياء الوطني فصاروا يتخبطون في أنحـــائه تائهين فاتخذت الامم اللادينية والدهرية ، هذه وسيلة لصرف المسلمين عن دينهم باسم إبادة الفقر والجهل ، فلو رجعوا إلى النظام الاقتصادي في الاسلام وطبقوه لما بقي الكسل عن التكسب سائداً ولمـــا بقي الفقر موجوداً ، فالمبدء الشيوعي من المدنيات الساقطة الهدامة التي منهـا المدنية الضالة وهو القائم على قانون خيالي موهوم يشابه قانون الفضيلة في مجرد شكله فقط ويؤدي صاحبه إلى الشر والضلالة ، فلو رجع الانسان إلى إدراكه الصحيح وعقله السليم لمنع من قبوله لأن العقل يرجع اختياره إلى الفضيلة ، وهو القـــانون القائم لمصلحة الفرد والمجتمع على حد سواء الذي يضمن حقوق المجموع في تنظيمه الاقتصادي الذي فرض على الأغنياء وأهل الثروة من فرائض مالية في أموالهم لابادة الفقر والحاجة وهـذه الانظمة تكفل بها الدين الاسلامي .

فالانظمة الشيوعية الاشتراكية تعني إنكار التملك الفردي والتوارث وهو رفع سيادة الملاك وغصب ملاك رؤوس الاموال وإلغاء امتلاك الاراضي وجميع حقوق الوراثة ، وترى إن الحياة

مادة بحتة ويكون جميع وسائل الانتاج في أيدي الدولة على أن يكون توفير العمل للجميع بالتساوي ، هذا هو رأي ماركس ونظريته وأيده عليها لينين وستالين وغيرهما [١] ، فالشيوعية عقيدة فلسفية مادية تناقض اصول الاسلام والاديان السماوية ، وإن نظامه إقتصادي إجتماعي ناقض قوانين الاسلام التي يجب على المسلمين اتباعها والتمسك بها .

أما رأي ماركس ونظريته قائم على أساس وهمي خيالي لانه استخدم الوهم العقل المؤدي إلى المدنية الجاهلة الرامي إلى الشر والفساد، وكانت هذه الآراء في عصر الملك أنو شروان ومبدعها هو مزدك وزبانيته فكانت أساطير تذكر في طيات الكتب ، ثم ببركة الاسلام والدعوة إلى الدين الحنيف انطمست تلك المبادىء التعيسة والآراء الخبيثة وبقيت رمة من تلك الآراء في طي الخفاء حتى نمت علي يد بعض فلاسفة الغرب الكافرة ، فهجموا بها على أكثر بلاد الشرق والاسلام بذلك المعول الهدام فقامت الفتن على قدم وساق وقانا الله شرها ، فالشيوعية ترمي إلى الالحاد ولا تعترف بالصانع الأزلي وأنكرت الثواب والعقاب واعترف بذلك ستالين حيث قال : نحن ملحدون ونحن نؤمن بأن فكرة الله خرافة ، ونحن نؤمن بأن الايمان بالدين يعرقل تقدمنا ، وقال خروشوف نحن ملحدون وإننا نذكر بدون شك اسم الله كقولنا بحق الله ولكن القضية عادة لا أكثر ولا أقل ، وأشار إلى ذلك

---

(١) ذكر في كتاب ما هي الشيوعية ١٠ ط جرينبرج بالقاهرة .

كارل ماركس بقوله : « لا وجود لله والحياة مادة بحت »، هذه آراء الشيوعية ومعتقداتهم ، ولكن العجب من أقوام يدّعون أنهم من أهل الصلاح فقـد طرحوا أنفسهم في حجر من يجرعهم الالحاد والرذيلة واتبعوا مراكز الدعايات الهدامة قبل من غشهم باسم الثقافـة فصبغوا بصبغة حتى استحالوا زنادقة ملحدين ، فالخطر الذي يداهم الانسانية والشرور التي تغمرها لا تجيء إلا من الالحاد ومن المذاهب التي تقدس المادة وتعبدها وتستهين بتعاليم الأديان السماوية ،فاللادينية الملحدة كانت تحارب الأديان السماوية وقد حاربت الدين الموسوي والعيسوي وتغلبت عليها مع تغلب أسباب الضعف القائم فيهما بسبب التحريف في التوراة والانجيل وإدخال امور خرافية قد دست بهما،وعندنا القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل وهو المعجز السماوي الدائم مدى الدهر .

الاسلام والأديان السماوية

فبعد أن بلغت الإنسانية رشدهـــا وتقدم سيرها وتهيأت بواسطة الشرائع الالهية السابقة عليه للكمال الدائم ، واقتضت الحكمة الالهية أن يجعل مجموعة الأقوام البشرية كافة تحت راية إلهية واحدة في قلب المعمورة بدين يثبت أحكام على الاعتدال ليحوز السعادة المزدوجة ،فبالفطرة النفسية والغريزة تجبر الانسان الذي يدرك أنه موجود حي فيفكر في مبدأ حياته ومنتهاها ، وهو الطريق إلى معرفة الله تعالى ومعرفة المعاد فينال السعادة وترفع عنه الشقاوة ، فالدين الاسلامي جاء بالاعتدال التام الذي تكفل لجميع مصالح البشر الدنيوية والاخروية ، والاسلام يدعو إلى الوحدة الدينية ويفسح الطريق للدخول معه لتعمل على الاخاء الانساني ويحث على كسب الفضائل الخلقية والمعاني الاجتماعية السامية ، ويدعو جميع الأديان السماوية إلى العمل معه على توجيه التشريع إلى تأييد الاصول العامة المشتركة في الأديان كالتوحيد والمعاد ، فالأديان السماوية كلها متحدة في الجوهر وتدعو إلى معرفة المبدء

الحق ومعرفة المعاد ، وإنها منزلة من الله تعالى والسر الطبيعي لاختلافها في التعاليم والشرائع هو اختلاف استعداد البشر في أدوار تدرجه على ناموس الارتقاء فيحكم أن الأديان السماوية قوانين إلهية صالحة لأوقاتها أنزلها لصالح عباده ، فالاسلام تسليم بجميع الأديان السماوية التي أشار اليها قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله وان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون » ، وقوله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أولى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ، وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

فالأديان السماوية كلها حقة لأنها ناظرة إلى معرفة الله وتوحيده وتقر بالمعاد ولها قوانين صالحة لأوقاتها ، أما الشريعة التي جاء بها موسى بن عمران عليه السلام كانت مطابقة لما يقتضيه زمانه وكان استهداف شريعته الالهية توجيه الأفكار إلى معرفة الرب وهو صانع العالم الذي لا شريك له وردعهم عن الشرك وكانت شريعته متكفلة للسعادة الدنيوية المادية أكثر من الروحية ، واليه أشار قوله تعالى «وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر» والغرب رمز المادة وقد أنزل الله تعالى عليه التوراة ، قال تعالى « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور » .

فالشريعة الموسوية ثابتة لطلب السعادة الدنيوية أكثر من الروحية ، وأما الشريعة الروحية فقد جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام قال تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين »، وعندما ارتقى البشر بعقيدة التوحيد جاء بها عيسى بن مريم عليه السلام مشبعاً بالروحيات التي تفضل السعادة الاخروية على السعادة الدنيوية لحكمة اقتضتها العناية الربانية واليه أشار الله بقوله : « واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً » ، والشرق رمز الروح وهذه الصفة ثابتة لمريم ولابنها عيسى عليهما السلام بشهادة قوله تعالى: « وجعلنا ابن مريم وامه آية » أي وجعلناهما معاً آية ، فبعد أن ثبت الافراط في الدين الموسوي لطلب السعادة الدنيويـة ، وظهر وجود التفريط في الدين المسيحي في السعادة الاخروية وهما طرفـان يستلزم وجودهما وجود الوسط والاعتدال ، وهو دين الاسلام الذي جاء بالاعتدال التام وجمع بين السعادتين وتكفل لجميع مصالح البشر الدنيوية والاخروية ليحوز السعادة المزدوجة من غير إفراط ولا تفريط ووضع أساسه على قاعدة المساواة واحترام الحقوق ، ولذا صارت الدعوة إلى الاسلام عامة وخـالدة وكلف به جميع البشر على اختلاف قومياتهم إلى الأبد لاستجماع الاسلام عناصر الخلود فهو دين صالح لكل عصر وزمان وموافق لكل قوم وأمة ، قال الله تعالى : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب

ومهيمناً عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم » سورة المائدة، فالدعوة الكبرى التي ظهرت من الأنبياء والرسل كانت دعوتهم إلى توحيد الله تعالى وتوطيد العدالة بين الناس ، فالدعوة الاسلامية أثبتت صحة ما جاءت به الأنبياء والرسل بأنها دعوة إلى حق فالايمان به يجب أن يكون الايمان بالله والايمان برسالات الله الموجهة إلى العالم البشري والايمان بيوم القيامة ، لأن اصول الدين الاسلامي هي كلمة التوحيد الذي قرره الشرع الشريف وهو توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد الآثار الخالي من الشوائب من الحلول والاتحاد والتشبيه والتعطيل وغيرها مما يخل بمقام الالوهية الذي جاء به رسول الله (ص) وهو التوحيد الخالص والاعتقاد بالصانع القديم المنزه عن كل رين وشين والاذعان بتكاليفه الدينية ، فبهذا يصبح ثبوت المعاد أمراً ضرورياً فالمعاد الجسماني بهذا الشكل يحقق لنا التصديق بنبوته وهذه هي اصول الدين الاسلامي ، وأما العدل والامامة فهي من شروط الايمان ، وتتحقق الوحدة عند المسلمين في أن اصولهم ثلاثة : التوحيد والنبوة والمعاد وهو المجمع عليه فيما بينهم فالانسان لو نظر بالفطرة العقلية إلى إدراك الفطرة الكونية للعالم وللتنظيم الحكيم فيه علم ان له موجد أحد لا شريك له فالعقل يحكم ان الكمال في العالم هو عبارة عن الوجود فالله تعالى خالق للوجود وهي الامور الكمالية وان الشر عبارة عن النقص وهو عدم الكمال وليس هو أمر وجودي.

القرآن نظام عام لمجموع البشر

وهو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه والدعوة إلى الله تعالى وهو آخر كتاب منزل من الله تعالى ، وقد استمرت قبله التنزيلات الإلهية المتوالية على الأنبياء والرسل ، فكل كتاب نزل على نبي فهو دستور إلهي عام على البشر بالعمل به ، والقرآن فيه بيان كل شيء من أسرار الكون وفيه حل كل معقد من مشاكل الحياة ، ودعوة إلى الحق والخير والفضيلة وقصص عذبة فيها العبرة والموعظة الحسنة ، وفيه الدعوة للنظر في الآفاق من آيات الله الكونية التي بثها ليزدادوا تبصرة وذكرى ، فهو نظام كافل للمجموع البشري الذي تكلف عن الحياة للانسان ، وهو القانون الأول في التشريع الاسلامي ، ومنه أُخذت الاصول الأولية التي بها يطبق ما يحدث من جزئيات مفوضاً بيانها إلى الرسول الأعظم وخلفائه الأئمة المعصومين بقوله تعالى : « ونزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » ، فالقرآن هو مبدأ بناء للحياة البشرية من مدنية وجنائية ونظامية ودولية ، أما المدنية

كالبيع والاجارة والقرض والدين والهبة والصلح والمزارعـــة والمساقاة والوكالة والحوالة والربا ونحوها، وأما الجنائية كالسرقة والزنا واللواط والقتل وقطع الطريق ونحوها ، وأمــا النظامية كالزواج والطلاق والمواريث ونحوها ، وأمــا الامور الدولية كالجهــاد والعهود بين المسلمين مع غيرهم من المحاربين وما جرى بينهم ، فالقرآن هو أساس لمبادىء وقوانين العلوم الانسانية من الفقه والفلسفة والطب والأدب وعلم الاجتماع والسلوك وغيرها .

والقرآن كتاب يبحث في أغلب قضاياه في علم الالهيات مما يصف الله تعالى بالوحدانية ونفي الشرك عنه وتنزيهه عن مشابهة مخلوقاته ، وصورة التوحيد دالة على ذلك ممــا تدل على أخص صفاته فتارة يقدم في القرآن برهاناً مبنياً على القياس المنطقي أو جدلاً مبنياً على قياس التشبيه المنطقي يتخذ على صورة المناظرة المنطقية ، فهو قانون الإسلام ودستوره المتكلف بشرائع دينه للحياة المزدوجة بين السعادتين الدنيوية والاخروية الكافل لجميع ما يهم الانسان لسعادته في الحياة من تشريع وثقافة وأخلاق ، ففي التشريع ما تنتظم به شؤون الامة من الأحكام الدينيــة والجنائية والأحوال الشخصية وغيرها من أفعال وأعمال ، وهو المعجز الخالد الذي يساير الاسلام بنفسه، والمعجز السماوي الدائم مدى الدهر الذي لا يأتيــه الباطل ولا يعتريه وهو خطاب الله لعباده ورسالته إلى كافة خلقه ، قال تعالى : « فهو نور يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور

بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم وقد يسره للذكر ليدبروا آياته وليتذكر أُولوا الألباب » ، وإن القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل ، وإنما التأويل فيما تشابه من الآيات التي أشغلت أذهان المسلمين طوال قرون سلفت من خلافـــات كلامية ، فريق منهم اشبهوا في اللذات باعتقاد اليد قالوا مشيرين إلى قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنمـــا يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » [1] ، والقدم والوجه أشار إلى قوله : « ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » [2] ، وفريق ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء ، يشير إلى قوله : « الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » [3] ، ومنها قولهم في التجسيم كما أشار اليه ابن خلدون [4] ، وإن البعض كالحنابلة وصفه بمقتضى الآيات انه يرى ويسمع ويتكلم مع عباده ويخلق بيديه ويستوي على عرشه ويأتي مع ملائكته وسوف يرى يوم القيامة ، وزادوا في قولهم إنه لوصف من صميم صفات البشر كالفرح والكدر والمحبـــة والبغضاء وما شابه ذلك ، وأخذوا الوعيدية بظاهر الكتاب المنكرين العفو الموجبين للمؤاخذة للمغالي فاستدلوا بقوله تعالى :

---

(١) سورة الفتح : ١٠ .　　(٢) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٣) سورة الفرقان : ٥٩ .

(٤) مقدمة ابن خلدون ٤٦٣ ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يَرَه » .

وأما الوعيدية القائلين برفع المؤاخذة ولا يعاقب على معصية استدلوا بقوله تعالى : « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً» ووعده لا خلف فيه ، وهؤلاء أخذوا بظاهر الكتاب وبقوا يتخبطون خبط عشواء ، فلو رجعوا إلى من له علم الكتاب لما وقعوا في هذا الاختلاف حيث قال تعالى: « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » وهم العترة من أهل البيت الذي أشار اليهم رسول الله ﷺ بقوله : (يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ، رواه الترمذي عن جابر وعن زيد بن أرقم ، قال قام النبي ﷺ خطيباً فقال يا أيها الناس أنا بشر يوشك أن تأتيني رسل ربي فاجيب وأنا تارك فيكم الثقلين كتاب الهدى وأهل بيتي أذكركم في أهل بيتي ، رواه مسلم عن زيد وهذا الحديث متواتر بين الصحابة فالكتاب العزيز قرن معه بالتمسك العترة الطاهرة لأنه أراد أن يظهر لأصحابه إن علم ما في الكتاب عند العترة أهل بيته لأن الكتاب فيه ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وعام وخاص ومطلق ومقيد ومجمل ومبين ولا يمكن معرفة ذلك إلا بالرجوع اليهم فالقرآن يحدد لنا التشبيه والتنزيه المطلق لله تعالى، فمن الآيات التي أشارت إلى صفات الالهية من التنزيه بها عن مخلوقاته التي تثبت لنا صفات

الله عز وجل فهو يوصف بالقدير العليم والمريد الأزلي والمطلق السرمدي ، وإن بعض الصفات إيجابية وبعضها سلبية ، وإن القرآن حقيقة ثابتة على مر العصور وكر الدهور إلى يوم يبعثون وان معجزته باقيــة مدى الدهر ، وكلما تقدم الزمن وظهرت العلوم الكامنة تجد مقاصده في نظريات علمية دقيقة سامية مهما تغيرت الظروف والأحوال ومهما تقدمت المعارف في الفصاحة والبلاغــة تجد القرآن باق على حلاوته وطراوته ، فالقرآن نزل بلغة العرب بأساليب فهمها قومهم ، وقد بعثه الله على محمد (ص) بلسان قومه قال تعالى: « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم »[1] وهو المعجزة الخـــالدة التي أعجزت البشر عن مجاراته في البلاغة والفصاحة فهو من أصل إلهي ظهر من محتوياته وأسلوبه الأدبي الذي لا يشبهه أسلوب صدر من الأدباء سواء بالنثر أو السجع أو الشعر ، فالقرآن خال من القوافي والأوزان وليس هو بنثر ولا بسجع فهو شبيه بالنثر الفني الذي كان في عهد الجاهلية لأنه نزل على لسان اولئك القوم وخاطبهم بما يفهمون .

فالقرآن جاء به جبرائيل الروح الأمين من السماء بأمر ربه فأودعه في قلب محمد(ص) ليهدي من يؤمن به فهو معجز سماوي كسائر المعجزات الاخرى فهو مصدق للكتب الإلهية ومؤمن بجميع الرسل من دون تمييز بينهم ولا تفريق ، قـــال تعالى :

---

(١) سورة إبراهيم : ٤ .

« قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »[1]، وأشار إلى التوراة بقوله : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مـا لم تعلموا أنتم ولا آبائكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون »[2]، ويشير القرآن إلى إنجيل عيسى فيقول : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لمـا بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديهمن التوراة وهدى وموعظة للمتقين »، « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون»[3] وفي الحديث قال النبي (ص) نزل القرآن على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا الحلال وحرموا الحرام واعملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال .

فالقرآن كان مجموعاً أيام النبي (ص) على ما هو عليه الآن من الترتيب والتنسيق في آياته وسوره بلا زيادة ولا نقيصة ولا تبديل فيه وقد عرضه الصحابة على النبي (ص) وتلوه عليه من

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦ . (٢) سورة الأنعام : ٩١ .
(٣) سورة المائدة : ٤٩ — ٥٠ .

أوله إلى آخره لقوله تعالى : « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ولقوله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » أي إنا لحافظون له من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ، قاله في تفسير الصراط المستقيم وهو معتقد جمهور الامامية ، قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي في كتاب الاعتقاد : اعتقادنا في القرآن إن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة ، وعندنا والضحى وألم نشرح سورة واحدة ولايلاف وألم تر سورة واحدة ، ومن نسب الينا بانا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب.

وقال الشيخ جعفر بن الشيخ خضر في كتاب كشف الغطاء مبحث القرآن في المبحث السابع قوله لا زيادة في القرآن من سورة ولا آية من بسملة وغيرها ولا كلمة ولا حرف وجميع ما بين الدفتين مما يتلى كلام الله بالضرورة من المذهب بل الدين وإجماع المسلمين وأخبار النبي (ص) والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وقال في المبحث الثامن لا ريب في أن القرآن محفوظ من النقصان ، بحفظ الملك الديان ، كما دل عليه صريح الفرقان ، وإجماع العلماء في جميع الأزمان ، وقال الشيخ الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي إن القرآن كان على عهد رسول الله (ص) مجموعاً مؤلفاً على ما هو الآن ، واستدل على ذلك بأن

القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة كعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ عدة ختمات وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث .

وقال السيد المرتضى أيضاً إن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشيدت والدواعي توفرت على نقله وبلغت إلى حد لم تبلغ اليه فيما ذكرناه لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد .

أما تلاوة القرآن فإذا قرأ على طول الزمان لا يمل وإذا تلي تجده طرياً . روي عن الصادق عليه السلام قال الراوي للصادق ما بال القرآن لا يزال على النشر والدرس إلا غضاً فقال الصادق(ع) لأن الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة ، وقال رسول الله ﷺ إن هذه القلوب تصدأ كما تصدأ الحديد ، قيل فما جلاءها قال ذكر الموت وتلاوة القرآن ، وقال النبي (ص) قرّاء القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستجر به الملوك واستطال على الناس ، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه

وضيـع حدوده ، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن القرآن على داء قلبه فأسهر به ليلهوباولئك يديل الله من الأعداء وباولئك ينزل الله الغيث من السماء ، والله لهؤلاء في قراء القرآن أعز من الكبريت الأحمر ، وقال (ص) : « عبادة أمتي القرآن » .

وأما كيفية تلاوته فليقرأ بالترتيل وتحسين الصوت وورد في الحديث تحريم الغناء فيه ، روي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان رسول الله (ص) قال : اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجع الغنـــاء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم قلوبهم مغلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم ، وروي علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره بإسناده عن ابن عباس ، قال حججنا مع رسول الله (ص) حجة الوداع ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم أقبل علينـا بوجهه فقال ألا أخبركم بأشراط الساعة وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان فقال بلى يا رسول الله فقـــال من أشراط الساعة إضاعة الصلوات واتباع الشهوات والميل مع الأهواء ، وساق الكلام إلى أن قال فعندها يكون قوم يتعلمون القرآن لغير وجه الله ويتخذونه مزامير ويكون أقوام يتفقهون لغير الله تعالى ويكثر أولاد الزنا ويتغنون بالقرآن الحديث ، وقال (ص) ليس منا من يتغنى بالقرآن ، وذكر الطبرسي في مجمع البيان روى عن طريق العـــامة عن حذيفة بن اليمان قال ، قال رسول الله (ص) اقرأوا القرآن بلحون

العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر ، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتوحة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم ، وروي عن النبي (ص) زينوا القرآن بأصواتكم ، قال ابن الأثير في النهـــاية بعد نقل الرواية قيل هو من المقلوب أي زينوا أصواتكم بالقرآن والمعنى إلهجوا بقراءته وتزينوا به وليس ذلك على تضريب القول والتحزين كقوله ليس منــا من يتغنى بالقرآن أي تلهج سائر الناس بالغناء والطرب هكذا قال الهروي والخطابي ومن تقدمها .

فالقرآن يجب احترامه وتعظيمه فلا يجوز مسه إلا بطهارة ويحرم تنجيس كلماته ويجب إزالة النجاسة عن ورق المصحف الشريف وخطه بل عن جلده وغلافه مع الهتك ، أما الوضوء لقراءة القرآن اما شرط كماله كقراءة القرآن واما شرط جوازه كمس كتابة القرآن واما شرط في صحة فعل كالصلاة والطواف ، ولا فرق في حرمة مس كتابة القرآن على المحدث بين أن يكون باليد أو بسائر أجزاء البدن ولو بالباطن كمسها باللسان أو الأسنان ، فلو وضع يده على الخط فأحدث يجب عليه رفعها ولا فرق في القرآن بين الآية والكلمة بل والحرف ولا فرق بين ما كان في القرآن أو في كتاب أو كاغذ يحرم مسه ولا يجوز توهينه أو إحراقه كسحقه أو رميه أو وضعه في مكان مستحقر فمن تعمد على هذا الفعل يعد من المنكرين للاسلام .

أما مس القرآن أو مس حروفه بغير طهارة فلا يجوز لقوله تعالى لا يمسه إلا المطهرون ولا فرق بين منع مسه بالحدث الأكبر كالجنابة والحيض والنفاس أو بالحدث الأصغر ، ويرتفع حدث الأكبر بالغسل وحدث الأصغر بالوضوء أما الجنب فيحرم عليه مس خط المصحف وكذا مس اسم الله وسائر أسمائه وصفاته المختصة ومس أسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام على الأحوط ويحرم على الحائض والنفساء مس كلام الله ومس أسماء الله وأسماء الأنبياء والأئمة على الأحوط كما في الجنب من حكمه ويكره على الحائض والنفساء قراءة القرآن .

ويحرم كتابة القرآن بالمركب النجس ولو كتب جهلاً أو عمداً وجب محوه كما أنه إذا تنجس خطه ولم يمكن تطهيره وجب محوه ولا يجوز إعطائه بيد الكافر ، وإن كان في يده يجب أخذه منه ويحرم وضع القرآن على العين النجسة كما انه يجب رفعها عنه إذا وضعت عليه وإن كانت يابسة ، وأما إذا وقع ورق القرآن في بيت الخلاء أو بالوعته وجب إخراجه ولو باجرة وإن لم يمكن فالأحوط سد بابه وترك التخلي فيه إلى أن يضمحل ، وأما وجوب تطهير المصحف كفائي لا يختص بمن نجسه ولو استلزم صرف المال وجب ولا يضمنه من نجّسه إذا لم يكن لغيره وإن صار هو السبب للتكليف بصرف المـــال وكذا لو ألقاه في بالوعة ، فإن مؤنة

الاخراج الواجب على كل أحد ليس عليه لأن الضرر إنما جاء من قبل التكليف الشرعي ، وأما إذا كان المصحف للغير ففي جواز تطهيره بغير إذنه إشكال ، إلا إذا كان تركه هتكاً ولم يكن الاستيذان منه فإنه حينئذ لا يبعد وجوبه هذا ما قرره الشريف في احترام القرآن وتعظيمه وحفظه من التلويث والرجس .

الزكاة وتشريعها

فالزكاة هو إخراج مال متعلق في مال المكلف للفقراء والمساكين وابن السبيل ، وتشريعه لمساعدة الفقراء والضعفاء والمساكين لارتفاع مستواهم الاقتصادي وبلوغ إنعاشهم المادي ، فبعد أن كان الإسلام نظام يقود البشرية نحو السعادة الكاملة ضمن حقوق المجتمع والفرد ، وجعل نصيباً مفروضاً للفقراء في مال الأغنياء وهي الاشتراكية العادلة في مرافق الحياة فجعل في أموالهم حقاً معلوماً في أرباح أموالهم بنسب محدودة في النقدين المسكوكين الذهب والفضة وفي الحنطة والشعير والتمر والزبيب وفي المواشي الإبل والبقر والغنم ، وجعل لكل من هذه الامور نصاب خاص يجب إخراجه ودفعه إلى مستحقيه وتسمى صدقة الأموال، وقالت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء في خطبتها في مسجد رسول (ص) والزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق .

تشريع الصلاة وأسرارها

فالصلاة عبادة دينية يقصد بها المصلي التقرب إلى الله تعالى وهي عبادة ترفع الانسان نفسه أمام خالقه بخضوع وخشوع ، وهي ذات الأركان الأربعة من نية وقيام وركوع وسجود، وإن من أهم شروط صحة الصلاة إباحة مـاء الوضوء وإباحة تراب التيمم وإباحة لباس المصلي وساتره وإباحة مكان الصلاة وإباحة ما يسجد عليه فإذا كان شيء من الامور مغصوباً بطلت الصلاة ، إذ لا يجوز التصرف في مال الغير وملكه إلا برضاه وإذنه فالمصلي لو التفت إلى هـــذه الشروط في صحة الصلاة تكون له ملكة راسخة في قلوب المصلين من ارتداعهم التحدي على مـال الغير وعدم الاعتداء على أحد في ماله وحقوقه وعرضه ونفسه، واليه مصداق قول النبي (ص) : الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهذه الشرائط للصلاة تكافح المبادىء الهدامة ، لأن كل إنسان يملك فوائد عمله ويختص بثمرات جهوده ونتائج قواه فبحكم العقل والحس السليم واليقين النفسي ، إن الاختصاص وملكية الفرد من الحقوق الطبيعية والفطرية للانسان وجعل الاختصاص الطبيعي وملكية الفرد من أهم تعاليمه وجعل انتزاع ملكه وماله منـه بدون رضاه غصباً وحراماً ولباس المصلي إباحته في صحة الصلاة شرطاً، وقد أشارت الصديقة فاطمة الزهراء في خطبتها في مسجد أبيها قولها : والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر لأنه خضوع وخشوع لله تعالى والانقياد اليه بالطاعة .

الصوم وأسرار تشريعه

الصوم عبادة دينية يقصد بها التقرب إلى الله تعالى بترويض النفس والجسد لرفع الانسان بروحه من حضيض الحيوانيـة إلى أرفع مقام أدبي يليق بكرامته الانسانية أمام الدستور الإلهي ، وهي عبادة دينية كفيلة بتثقيف عامة المسلمين ، بحيث يتحملون بجلد وصبر أشد المحن وأعظم الكوارث ويندفعون إلى التضحية في سبيل البر وإقامة أعمال الخير ، وتبعث في نفس الصائم شفقة ورحمة ورقة وحنان ورأفة ورفق وإيثار وتجعل في النفوس قوة على مغالبة الشهوات ومكافحة الأهواء والتدريب على الخشونة وتؤهل النفوس للخصال الكريمة وتنبه القلوب لضرورة التكافل بين الأقوياء والضعفاء وبين الأغنيـاء والفقراء ، وبذلك يحصل التضامن الاجتماعي ويتوحد الشعور العام لصالح الفرد من ضمن صالح المجتمع .

وللصوم شرائط دينية في أثناء الصوم للصايم يجب تركها ، وإن فعلها الصائم فهو مفسد لصومه منها الكذب على الله ورسوله وعلى الأئمة المعصومين فالكذب بذاته صفة يقبح فعلها وارتكابها فيجب تركه في الصوم ومفسد لصوم الصائم ، لأن الصوم عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى ، ومما يفسد الصوم أيضاً النكاح وبالأخص النكاح المحرم فقد أوجب عليه كفارة كبرى فالصوم بذاته يحث الانسان إلى فعل الخير والخصال الحميدة ويبعده عن فعل المحرمات والموبقات وهي عبادة صامتة ليس لها حركات تنظر ، وهو سر بين العبد ومولاه فلا يدخله الرياء ، ولذا قالت الصديقة فاطمة عليها السلام في خطبتها : والصيام تثبيتاً للاخلاص .

الحج وأسراره

الحج عبادة دينية يقصد بها التقرب إلى الله تعالى وتجب على من استطاع أن يأتي إلى بيت الله وهي عبادة لها حركات منظورة وفيها خضوع وخشوع لله تعالى وتذليل العبد إلى مولاه ، فهي متضمنة أحكاماً مركبة من أفعال عبادية ناطقة وصامتة وتروكات إلزامية وهي مكافحة الشهوات النفسية ، وشرطها النية وثوبي الإحرام بشرط أن يكون مباحاً فلا يصح في الثوب المغصوب .

وفوائده التعرف بين المسلمين لصالح المجتمع والفرد ليتوحد الشعور وتجمع الكلمة بينهم ليحصل الاتحاد والتآخي بين أنصار الاسلام لإقامة العدل والحكم بالشرائع الدينيــة بموجب اصوله لصالح مجموع البشر ، وقد أشارت إلى ذلك الصديقــة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها في مسجد أبيها (والحج تشييداً للدين) .

هذا آخر ما أردنا إيراده ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الاسلام دين الانسانية	٥
الاسلام دين الفطرة	٨
الاسلام دين الأخوّة	١٠
المدنية الفاضلة في الاسلام	١٣
العدل الاسلامي	١٦
النظام الاقتصادي في الاسلام	١٧
المبادىء الاسلامية	٢٠
الأخلاق في الاسلام	٢٢
الاسلام والسياسة	٢٥
الاسلام والاستعمار	٢٨
الاسلام والصهيونية	٣١
الاسلام يدعو	٣٣
علماء الاسلام	٣٨
الدين الاسلامي	٤١
الاسلام والأديان السماوية	٤٥
القرآن نظام عام	٤٩
الزكاة وتشريعها	٦٠
تشريع الصلاة وأسرارها	٦١
الصوم وأسرار تشريعه	٦٢
الحج وأسراره	٦٣